﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ [الأعراف: 132]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـرَّبْـطُ بين تَطيُّرِهم بالحقِّ ورسـولـه، وإعلانِهم الكُفرَ مهما كان الدّليلُ

حَكَى اللّٰهُ عنهم نوعًا آخَرَ مِنَ الجَهل والضَّلالة، وهو أنَّهم لم يُميِّزُوا بينَ المعجزاتِ والسِّحْر، وجعلوا آياتِ موسى مِن باب السِّحْر، فلا يُقبلُ منها شيء[1]؛ ممَّا يعني: أنَّ الأخذ بالسِّنين، ونقصِ الثَّمرات، لم يزدهم إلَّا طغيانًا وتَشَدُّدًا في كُفْرهم وتكذيبهم[2].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

تأكيدُ طُغيانِ قومِ فرعونَ الصُّراحِ، وقَطْعِهم على أنفُسِهم بالكُفرِ البَواحِ

يخبر اللّٰهُ تعالى عن قومِ فرعونَ قولَهم: إنَّك إنْ تَجِئْنا بكلِّ نوعٍ مِن أنواع الآيات التي تَستَدِلُّ بها على أَحقّية دعوتِك؛ لأجل أنْ تَصْرِفَنا بها - بدِقَّة ولُطفٍ في التَّأثير - عمَّا نحن عليه مِن ديننا، ومِن تسخيرنا لقومِك في خِدمتنا، فما نحن لكَ بمصدِّقينَ، ولا لرسالتك بمتَّبِعينَ[3].

ويدلُّ منطقُهم هذا على منتهى العِناد والجُحود؛ برفضهم الدَّليل السَّاطع بنوره الواضِح، ورفضِهم كلَّ سُبلِ الإقناع؛ لأنَّهم أعلنوا الإصرارَ على التَّكذيب، حتَّى ولو أتاهم نبيُّهم بألف دليلٍ ودليل، وأخذتهم العِزَّةُ بالإثم، فأَبَوا أيَّ لونٍ مِن ألوان التَّفكير والتَّدبُّر[4].

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/177، وابن عادل، اللُّباب: 9/279.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/370.
(3) محمد رضا، تفسير المنار: 9/78.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/443، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 5/358 - 359.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ عَوْدِ الضَّمير، وعَطْفِ الجُملةِ:

الضَّمير في: ﴿وَقَالُواْ﴾ عائدٌ على آل فرعون[1]، والجُملة معطوفة على جملة: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الأعراف: 130]، فهم قابلوا المصائبَ - التي أصابهم اللهُ بها ليذَّكَّرُوا - بازديادِ الغُرور، فأيسوا مِنَ التَّذكُّر بها، وعاندوا موسى حين تحدَّاهم بها، فقالوا: مهما تأتنا به مِن أعمال سِحْرِكَ العجيبةِ، فما نحنُ لكَ بمؤمنين، أي: فلا تُتْعِب نفسَكَ في السِّحْر[2].

مُقابلةُ المصائبِ بالغُرورِ، والنّوازلِ بالاستِكبارِ الكَفورِ

دَلالةُ تنوُّعِ المعاني وتَعدُّدِ التَّوجيهاتِ، في تَركُّبِ: ﴿مَهۡمَا﴾:

في تركُّب لفظ ﴿مَهۡمَا﴾، خلاف بينَ العلماء، وأشهر الآراء فيه: أوّلًا: أنَّها مُركَّبة مِن (ما) المتضمِّنة لمعنى الشَّرط والجزاء، زِيدَت عليها (ما) الثَّانية، ورُكِّبتْ معها؛ توكيدًا لمعنى الشَّرط، فهي زائدةٌ لازمة[3]، أو لزيادة معنى الإبهام[4]، وقُلِبَتْ ألفُ (ما) الأولى هاءً؛ استثقالًا لتوالي الأمثال، وتكرير المتجانِسَين، وللتَّشابه الصَّوتي بينَ الهاء والألف، مِن صفةِ همس، وتقاربٍ للمَخرج[5]. وتفيد دلالةُ هذا التَّوجيه إصرارَ آلِ فرعون على الجُحود والنُّكران، بالشَّرط المتلبِّس بالتَّوكيد.

اشْترطُوا على أنفُسِهم، تأكيدًا لعدمِ الإيمانِ؛ وإصرارًا على النُّكرانِ

ثانيًا: أو أنَّها مكَوَّنة مِن اسمِ الفعل (مَه)، رُكِّبتْ معها (ما) الشَّرطيَّة، ويكون المعنى: أُكْفُفْ ما ﴿تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[6]، أو كُفَّ عن أن تأتينا بأيةِ آيةٍ فلن نُصدِّقك،

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/370.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/68.
(3) وهو رأي الخليل، وتابعه جمهور العلماء مِن نحويين، ومفسِّرين. ينظر: سيبويه، الكتاب: 3/59 - 60، والواحديُّ، التَّفسير الوسيط: 2/398.
(4) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/480.
(5) رياض الخوَّام، (مهما) في الدَّرس النَّحويّ، ص: 9 - 10.
(6) الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/269، وعزاه إلى قوم لم يسمّهم؛ وبذا تكون نسبة النَّحويين الرَّأيَ إليه غير دقيقة، يُنظر: الخوّام، (مهما) في الدَّرس النَّحويّ، ص: 20 - 22.

بتضمُّن معنى الرَّدع مُزادًا على الجُحود والكُفران؛ ممَّا يعني أنَّ هناك إصرارًا وعنادًا على عدم الإيمان[1]؛ لأنَّ (مَه) كلمةٌ يُصَوِّتُ بها النَّاهي[2].

ثالثًا: أو هي اسمٌ مُضَمَّن معنى الشَّرط، وأصلُها: (ما) الموصولة، أو النَّكرةُ الدَّالَّة على العُموم، ورُكِّبتْ معها (ما) لتصييرها شرطيَّةً، وجُعلتِ الألفُ الأولى هاءً؛ استثقالًا لتكرير المتجانِسَين، ولقُرب الهاء مِنَ الألف، فصارت: ﴿مَهْمَا﴾، ومعناها: (شيءٌ ما)، وهي مُبهَمَة؛ فيؤتى بعدَها بـ﴿مِنْ﴾ التَّبيينيَّة، وعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة: إن تأتِنا بشيء مِنَ الآيات، فما نحن لكَ بمؤمنين[3].

نُكتةُ رفْعِ ﴿مَهْمَا﴾ على الابتداءِ، أو نصْبِها على الاشتغالِ:

اسْـتِـغـراقُ العـمـومِ، يأتي لِترسيخِ نَفْيِهم الإتيـانَ أيًّا كان كُنْهُه

و﴿مَهْمَا﴾ اسمُ شرطٍ جازِمٌ مَبْنِيٌّ على السُّكون في محلِّ رفعٍ بالابتداء، والتَّقدير: (أيُّما شيءٍ تأتينا به)، وخَبرُه الشَّرطُ، وجوابُه: ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، ويجوز كَونُها في محلِّ نَصْب لفعل محذوفٍ يدلُّ عليه فعلُ الشَّرط: ﴿تَأْتِنَا بِهِۦ﴾ المذكور؛ فيكون مِن باب الاشتغال، ويُقَدَّر الفعلُ متأخِّرًا عنِ اسم الشَّرط، والتَّقدير: أيُّ شيءٍ تحضرنا تأتينا به[4].

إيثارُ التَّعْبيرِ بالمضارع المجزومِ، في فعْلِ الشَّرطِ:

التَّـلـمـيـحُ إلى عدمِ مُبالاتِهم، وتـرسـيـخِ إصْـرارِهِـم على الكِبْرِ والعِنادِ

﴿تَأْتِنَا﴾ عطفُ بيانٍ، أو تفسير لـ﴿مَهْمَا﴾، ولذلك جُزِمَ بحذف حرف العلَّة[5]، وكأنَّ في الحذف إلماحًا بلا مُبالاتهم بما سيأتي به موسى، وعَدَلَ عن لفظ المجيء إلى لفظ الإتيان؛ لأنَّ المجيء يُقال باعتبار الحصول، أمَّا الإتيانُ فيُقال باعتبار القَصْد، وقد أشرنا إلى

(1) الشَّعراويُّ، تفسير الشَّعراويّ: 7/4318.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/264.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/68.
(4) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 2/146، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 4/371، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/68.
(5) الشِّهاب، عناية القاضي: 4/354.

ذلك آنفًا، والموضع مَظِنَّة القصد، مناسبٌ لصيغة المضارع الدالِّ على الاستقبال، أي: وإنِ استمرَّ إتيانُكَ بالآيات وتجدَّدَ؛ وذلكم مبلَغُ المكابرة والعناد.

نُكْتَةُ تذكيرِ الضَّميرِ وتأنيثِه، في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ و﴿بِهَا﴾:

مُـراعـاةُ اللَّفظِ مـن حُـسْـنِ النَّظْمِ وبديعِه

الباء في ﴿بِهِۦ﴾ للتَّعديَة، وذَكَّر الضَّمير فيه، وأنَّثه في ﴿بِهَا﴾ رعيًا للطيفة فيه؛ وهي أنَّ الضَّمير الأوَّل لمَّا عاد إلى ﴿مَهْمَا﴾ - ولفظُه مُذَكَّر - ذُكِّر رَعيًا لجانب اللَّفظِ لإبهامه، والضَّمير الثَّاني إنَّما رجع إليه بعدَ ما بُيِّنَ بقوله تعالى: ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾، فأُنِّثَ بهذا الاعتبار؛ للمحافظة على جانب المعنى[1].

سِرُّ التَّعْبير بحرفِ التَّبْيينِ ﴿مِنْ﴾، وأثرُه في البيانِ:

الاسْـتِـهـزاءُ والـتّـعـنُّـتُ والمُـكـابـرةُ، مع الإصـرارِ على الـكُـفـرِ، دَواعٍ للهلاكِ

﴿مِنْ﴾ التَّبيينيَّةُ و﴿ءَايَةٍ﴾، كلاهما لبيان إبهام ﴿مَهْمَا﴾، وسَمَّوا ما جاء به موسى آيةً باعتبار الغرضِ الذي تحدَّاهم به موسى حينَ الإتيانِ بها؛ لأنَّ موسى يأتيهم بها استدلالًا على صدق رسالته، وهم لا يَعُدُّونها آيةً، ولكنَّهم جارَوا موسى في التَّسميَة؛ قاصدينَ بذلك الاستهزاءَ، والتَّلهِّي، والسُّخْريَة، والتَّهكُّم؛ إذ زعموا أنَّها نوعٌ مِنَ السِّحْر، كما يُنبِئُ عنه قولُهم: ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾، ولو قالوا ذلك اعتقادًا لم يُردفوها بقولهم: ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾، وبقولهم: ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وكلُّ هذه مقدِّماتٌ تُبْرز الإهلاكَ الذي قال الله فيه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف: 129][3].

فائدةُ فِعليَّةِ الجُملةِ، والتَّعبيرِ بالمضارع في: ﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾:

إظـهـارُ كَـمـالِ طُـغـيـانِـهـم، وغُـلُـوِّهـم، وإصْـرارِهـم على الكُفْرِ

اللَّام في قوله تعالى: ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ للتَّعليل، وعَبَّروا بالمضارع للدّلالة على نسبة تجديد فعل السِّحْر إليه، وفي التَّعبير بالضَّمير

(1) الطِّيبيُّ، فتوح الغيب: 6/532، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/264 - 265.
(2) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 2/146، والنَّيسابوريُّ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 3/307، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/68 - 69.
(3) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 7/4318، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 5/359.

- ولم يقولوا: (لتَسْحَرَ بها) - إشارةٌ إلى أنَّهم مَحطُّ قصدٍ دون غيرهم، و(الباء) للاستعانة، وتعبيرهم بالجُملة الفعليَّة ترسيخٌ لتَجَدُّد حَدَثِ سِحْرهم، بحسب ظنِّهم، وفيه إظهارٌ لكمال الطُّغيانِ، والغُلوِّ، والإصرارِ على الكُفر، وتسميَةِ الإرشاد إلى الحَقِّ بالسِّحْر تسكيرٌ للأبصار[1].

بَلاغةُ التَّعْبير بالمؤَكِّداتِ، واسميَّةِ الجُملةِ، وتقديمِ الجارّ والمجرورِ:

ثبوتُ انْتِفاءِ الإيمان، بتعليقِه بموسَى عليه السلام

الفاء في ﴿فَمَا﴾ جوابيَّة للتَّرتيب، والتَّعقيب، والسَّببيَّة، رابطةٌ لجواب الشَّرط. واللَّام في ﴿لَكَ﴾ للفَرْق بين إيمان التَّصديق، وإيمان النَّجاة[2]. وجملةُ: ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مفيدةٌ المبالغة في القَطْع بانتفاء إيمانهم بموسى؛ لأنَّهم صَدَّروا الجُملةَ بـ ﴿نَحْنُ﴾، وجاؤوا في كلامهم بما حوته الجُملةُ الاسميَّة التي حَكَتْهُ، مِنَ الدّلالة على ثبوت هذا الانتفاء ودوامِه، وبما تُفيدُه (الباء) مِن توكيد النَّفي، وما يُفيده تقديمُ مُتعلَّق ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ مِن اهتمامهم بموسى في تعليق الإيمان به، المنفي باسمه[3].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/264 - 265.
(2) قباوة، المفصَّل، ص: 592.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/370 - 371، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/69.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»